

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# تفسير الجلالين سورة الحجرات

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

	المكان:		تاريخ المحاضرة:
--	---------	--	-----------------

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فيقول المؤلف -رحمه الله تعالى- في تفسير الآية السادسة من السورة يقول: "ونزل في الوليد بن عقبة وهو ابن أبي معيط وقد بعثه النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى بني المصطلق مصدقاً" يعني يجبي الصدقات لأنهم اسلموا فبعث إليهم النبي -عليه الصلاة والسلام- الوليد بن عقبة ليجمع صدقاتهم بعثه ساعياً "فخافهم" لأنهم لما علموا بمقدمهم خرجوا لاستقباله ودفع الصدقات له "فخافهم لثرة كانت بينه وبينهم" هناك عداوة قديمة بينه وبينهم فظن أنهم يريدون الواقعة به خافهم ورجع "لثرة كانت بينه وبينهم في الجاهلية فرجع فقال إنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله، فهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بغزوهم فجاءوا منكرين ما قاله عنهم" لما رجع الوليد بن عقبة إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- قال له ما قال بعث إليهم النبي -عليه الصلاة والسلام- خالد بن الوليد ليتأكد من كلامه من قوله فرأهم على خير ما يتوقع سمع الأذان ورأى الصلاة ورأى أنهم على خير ما كانوا عليه.. ما عاهدوا النبي -عليه الصلاة والسلام- عليه "فهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بغزوهم" يعني بعث إليهم خالد بن الوليد لكنهم جاؤوا منكرين إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- ما قاله عنهم الوليد بن عقبة فأنكروا ذلك، فنزل قوله -جل وعلا-: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ} الفاسق من الفسق وهو الخروج كما يقال فسقت الرطوبة إذا خرجت من قشرها والفساق من المسلمين هو الذي خرج عن حضيرة الالتزام التام بارتكاب بعض المعاصي من ترك مأمور أو فعل محظور هذا فاسق** " **{إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ} يعني بـ "خبر" {عَمَّ يَسْتَأْذِنُونَ \* عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ} [سورة النبا: 1-2] يعني "خبر {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ} يعني خبر {فَتَبَيَّنُوا} صدقه من كذبه" تبينوا لابد من التبين والتريث وعدم العجلة {فَتَبَيَّنُوا} وهذه قراءة الأكثر، وقرأ حمزة والكسائي: {فَتَبَيَّنُوا} والمعنى واحد، قال: "وفي قراءة {فَتَبَيَّنُوا} من الثبات" الصواب من التثبت لا من الثبات، {فَتَبَيَّنُوا} من التثبت لو قال: اثبتوا صارت من الثبات لكن {فَتَبَيَّنُوا} من التثبت **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا} أو {فَتَبَيَّنُوا} تريثوا في قبول خبره" لأن الفاسق ليس بأهل لأن يقبل خبره فالخبر إنما يقبل من العدول الثقات، وأما الفاسق لا يؤمن أن يكذب في خبره لا يؤمن عليه الكذب ولزيادة والنقص لأنه ليس عنده من الدين ما يردعه عن ذلك، فلا بد من التبين والتثبت، والمفهوم من الآية أن خبر العدل لا يحتاج إلى تبين ولا تثبت فهو مقبول هذا واحد فاسق أمرنا بالتثبت بخبره مفهومه أنه لو كان عدلاً ولو كان واحداً أنه يقبل خبره من غير تبين ولا تثبت ففي هذا أي مفهوم الآية وجوب قبول خبر الواحد خلافاً لأهل البدع الذين يرددون خبر الواحد لا سما في العقائد، والأدلة على قبول الواحد مستفيضة في السنة أكثر من أن تحصر، فالمعتزلة لا يرون****

قبول خبر الواحد فلا بد من أن يروي الخبر اثنين عن اثنين على الأقل، وعموم المبتدعة يخصون الرد بأخبار العقائد فيطلبون للعقائد ما فوق خبر الواحد مما يسمى خبر بالمتواتر الموجب للعلم، قد يقول قائل من أهل العلم وهم محسوبون على أهل السنة من يرى أن شرط الإمام البخاري في صحيحه أن لا يُخرج لواحد متفرد بالرواية بل لابد أن يكون الخبر يرويه اثنان عن اثنين إلى آخر السند، وهذا القول قال به بعض الشراح كأبي بكر بن العربي والكرماني الشارح في مواضع من شرحه ردد هذا، ويفهم من كلام الحاكم أبي عبد الله والبيهقي لكن هذا الكلام ليس بصحيح، هذا ليس بصحيح، فغرائب الصحيح ترد هذا الكلام وأول حديث في صحيح البخاري وآخر حديث فيه يردان هذه المقالة، حديث الأعمال بالنيات فرد مطلق تفرد بروايته عمر بن الخطاب وعن علقمة بن وقاص وعنه محمد بن تميم التيمي فقط وعنه يحيى بن سعيد الأنصاري ثم انتشر يعني في أربع طبقات تفرد مطلق، هذا يرد هذه المقالة وآخر حديث أيضًا: **«كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن»** مثله تفرد مطلق في أربع من طبقات سنده، فهذا القول ليس بشيء ولذا يقول ناظم النخبة لما ذكر العزيز قال:

وَأَيْسَ شَرْطًا لِلصَّحِيحِ فَاَعْلَمَ وَقِيلَ شَرْطٌ وَهُوَ قَوْلُ الْحَاكِمِ  
وفي بعض النسخ:

..... وَقَدْ رُمِيَ مَنْ قَالَ بِالتَّوَهُّمِ

فليس هذا بشرط إنما يقبل خبر الواحد، وقد يقول قائل: أن عمر رضي الله تعالى عنه - رد خبر أبي موسى في الاستئذان حتى شهد له أبو سعيد وهذه شبهة من يرد خبر الواحد، نعم عمر يتحرى للسنة وإلا في مواقع كثيرة قبل خبر الواحد والنبي - عليه الصلاة والسلام - أرسل الوفود إلى الملوك يحملون تبليغ الرسالة وهم أفراد فخطابه - عليه الصلاة والسلام - إلى هرقل إنما بعثه مع دحي الكلبي وما رده وقال إن هذا الخبر لا يقبل لأنه واحد ولو لم تقم به حجة لما أرسله النبي - عليه الصلاة والسلام - فهذا القول لا يعول عليه وفعل عمر وصنيعه رضي الله عنه - إنما هو من باب الاحتياط للسنة وإلا فقد قبل خبر الواحد في مناسبات كثيرة، **{أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا}** هذا مفعول أن وما دخلت عليه في تأويل مفعول لأجله يعني خشية أن تصيبوا قومًا يقول: مفعول له أي مفعول لأجله أي خشية ذلك بجهالة حال من الفاعل الذي هو الفاعل؟ الواو الواو في تصيبوا، ولو كان حالاً من المفعول أن تصيبوا قومًا جاهلين تصيبوا قومًا حال كونكم جاهلين، ولو كان حال من المفعول لقلنا أن تصيبوا قومًا حالة كونهم جاهلين ولا يتجه هذا أبدًا، **{أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بَجَهَالَةٍ}** لأن العمل أو العلم المبني على قول فاسق ليس بعلم العمل أو العلم المبني على خبر فاسق ليس بعلم، ولذا المتجه أن ما يحمله الفاسق من العلم ليس بعلم، ولو عرفوا بعض الأحكام بأدلتها وبأقوال العلماء فيها وتوسعوا في معرفتها لكنه جهل لأن الذي يعصي جاهل شاء أم أبى، الذي يعصي الله - جل وعلا - جاهل **{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ**

**يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ** [سورة النساء: 17] ما معنى الجهالة هنا؟ هل نقول أنهم لا يعرفون الأحكام؟ لا، يعرفون الأحكام يعرف أن الخمر حرام ويشرب خمر، يعرف أن الخمر حرام بدليله من الكتاب والسنة ويشرب خمر نقول هذا ليست له توبة؟ له توبة بالإجماع يعرف أن الزنا محرم ومجمع على تحريمه ويحفظ في ذلك نصوص الكتاب والسنة ويزني هذا جاهل وإلا لترتب عليه عدم قبول توبة الفاسق، عدم قبول توبة العالم العارف بالحكم وهذا لم يقل به أحد من العلم وإنما اتفقوا على أن من يعصي الله فهو جاهل، **{ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ }** حال من الفاعل أي حالة كونكم جاهلين لأنكم اعتمدتم على خبر من لا يعتمد الخبر عليه.. على خبره والفاسق لا يعتمد عليه وجاء في القاذف **{ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا }** [سورة النور: 4-5] فالفاسق إذا تاب يعود إلى الثقة أو لا يعود يعود إلى العدالة أو لا يعود؟ **{ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا }** هو بالقذف صار فاسقاً ونُص على ذلك بالآية **{ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }** والفسق المتسبب عن القذف أورث رد الشهادة **{ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا }** **{ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا }** فإذا تاب وصحت توبته وحسنت أوبته يعود إلى العدالة أو لا يعود؟ **{ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا }** ما معنى التأييد هذا الاستثناء **{ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا }** على ما يعود من الجمل الثلاث؟ **{ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا }** هو لا يعود إلى الجملة الأولى اتفاقاً لا بد من جلده ولو تاب ويعود إلى الجملة الأخيرة بالاتفاق وعوده على الجملة الثانية محل الخلاف بين أهل العلم وقواعد الشريعة تدل على أنه إذا ارتفع عنه الوصف المانع عن قبول شهادته وهو الفسق قبلت شهادته قال أهل العلم وليس بهذا بأعظم من الشرك، المشرك يسلم ثم يكون عدلاً فإذا ارتفع الوصف في المؤثر الذي هو الفسق قبلت شهادته وقبلت روايته، التائب من الكذب على النبي -عليه الصلاة والسلام- محل خلاف بين أهل العلم هل تقبل توبته أولاً تقبل؟ بمعنى أنه هل يرجع إلى العدالة أو لا يرجع؟ الإمام أحمد والعبدي يقولون لا تقبل توبته يعني توبته فيما بينه وبين الله -جل وعلا- هذه لا يحول أحد دونها لكن الكلام في قبول روايته قالوا أو قالوا لا تقبل روايته ولا يعود إلى حضيرة العدالة والتوثيق بل يستمر جرحه لأن جريمته شنيعة وهي الكذب على النبي -عليه الصلاة والسلام- أما إذا كان الفسق بغير الكذب على النبي -عليه الصلاة والسلام- فهو محل اتفاق، أنه إذا ارتفع الوصف المؤثر في قبول الشهادة وقبول الرواية أنه يرتفع الأثر فنقبل روايته وتقبل شهادته، **{ فَتُصَبِّحُوا }** يقول تصيروا لأنه ليس المقصود من تصبحوا حصول ذلك في وقت الصباح وإن كان هو الأصل لكن المراد تصير يعني مآل أمركم على الندم **{ فَتُصَبِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ }** من الخطأ بالقوم **{ تَادِمِينَ }** يقول المؤلف: "أرسل -صلى الله عليه وسلم- إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالداً فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير فأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك" الرواية تدل على أنه أرسل إليهم خالد لما بلغه الخبر مجرد ما بلغه الخبر أرسل إليهم خالد فوجد ما يسر ثم بعد ذلك جاؤوا لنفي

التهمة لأنه لما رجع ظنوا أنه نزل فيهم شيء مما يغضب الله ويغضب رسوله - عليه الصلاة والسلام - فجاءوا إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - يستفهمون جمعنا الصدقة وما جاءنا المصدق الذي وعدتنا به فتأكد النبي - عليه الصلاة والسلام - من صدقهم وخطأ الوليد بن عقبة، في مثل هذه الصورة لما رجع الوليد بن عقبة والرواية تدل على أنه خائفاً منهم أنهم يريدون الإيقاع به، هل يستحق بذلك الفسق؟ لأنه توهم وأخطأ أو لا يستحق الفسق؟ يعني هل نقول أن مقالة الوليد بن عقبة أنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله هل نقول أنه من باب الوهم والتوهم أو نقول أنه من باب الكذب والافتراء؟ يعني الحكم واحد في كونه يكذب عليهم ويفتري عليهم أنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله هل هذا افتراء أو توهم؟ يقول: "فخافهم لثرة كانت بينه وبينهم في الجهلية فرجع" يعني حقيقة الأمر لو أراد أن يأتي بالأمر على وجهه لقال إني خفتهم ولا أدري ما ورائهم وكونه يقول إنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله هذه فرية وإلا توقع؟ قد يكون الخوف توقع ما يؤذيه أصل الخوف توقع لكن كونه يقول أنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله، ما هذا؟ كذب وإلا ظن وتوقع؟ كذب ولذلك استحق الوصف بكونه فاسقاً استحق الوصف بالفسق لأنه كذب، ولذا الرازي في تفسيره يقول: لا يمكن تنزيل هذه الآية على قصة الوليد بن عقبة لأنه لا يستحق الوصف بالفسق لأنه توقع وأخطأ في توقعه والمخطئ معذور. نقول نعم أخطأ وتوهم أنهم أرادوا الوقعة به لكن كونه أخطأ لا يجوز له بحال أن يقول أنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله فهو توهم أولاً ثم رتب على هذا الوهم والتوهم فرية فاستحق الوصف بأنه فاسق، قد يقول قائل هذا صحابي والصحابة كلهم عدول وهذا هو المقرر عند أهل السنة، نقول نعم الصحابة كلهم عدول ولا خلاف بين أهل السنة في ذلك لكنهم ليسوا بمعصومين من الوقوع في المعاصي لكنهم لشرف الصحبة يوفقون للتوبة، **{فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}** لو أن النبي - عليه الصلاة والسلام - ما تثبت قبل الخبر فهجم عليهم وغزاهم ثم قتل منهم من قتل وأسر منهم من أسر، ماذا يترتب على ذلك؟ الندم لأنه قتل بغير حق، فقبول أخبار الفساق يوقع في مثل هذا فالتثبت والتبين مطلوب وكم من موقف حصل فيه الندم الشديد لقبول بعض الأخبار سواء كانت من الفساق أو المتعجلين الذين ينقلون بعض الأخبار فإذا أراد الإنسان أن يتدخل في مسألة ما وجد أنه لا أصل لهذا الكلام قد يكون الناقل ثقة لكن ثقة عن من؟ نقله عن شخص غير ثقة، قال له أنه حصل في بلد كذا كذا كذا أو يبيي يحصل كذا ثم هرع إلى أهل العلم ليتدخلوا ثم بعد التثبت والتبين لا شيء ولو أنهم بادروا وأنكروا وأغضوا في ذلك لندموا فالتثبت والتبين أمر مطلوب، ثم قال: **{وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ}** فلا تقولوا بالباطل فإن الله يخبره بالحال" يخبره بحقيقة الأمر يعني لو قدر أن الخبر لم يأتي على وجهه وما بعث خالد فلا بد أن الوحي ينزل فالرسول - عليه الصلاة والسلام - مؤيد بالوحي **{وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ}** فلا تقولوا بالباطل فإن الله - جل وعلا - يخبره بالحال" فالنبي - عليه الصلاة والسلام - مؤيد بالوحي **{لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ}** الذي تخبرون به

على خلاف الواقع فيرتب على ذلك مقتضاه " **لَعْنَتُمْ** " يعني كثير من الشباب والباعث على بعض تصرفاتهم الغيرة وهم محمودون على هذا يأتون إلى المشايخ من أجل تغيير منكر ثم تجد الشيخ من كثرة ما يرد عليه قد لا يستقبل هؤلاء استقباليهم، فيكون في أنفسهم شيء لكن لو تصوروا أنك الآن أنك جئت لإبلاغ الشيخ بهذا الخبر، وقبلك بربع ساعة و نصف ساعة جاء آخر بخبر وثالث بخبر ثم تثبتت عن خبر ما وجده صحيح ثم خبر ثاني ما وجده صحيح ثم صارت هناك ردة فعل لا بد من التثبت ولو كان خبرك صحيحاً فأنت عليك أن تتحمل أنت أمرك لله في أوله فليكن أمرك في آخره لله أيضاً، لا تظن بالشيخ أنه ما اهتم ولا اكرث ولا غيره عنده ولا يغار لمحارم الله ولا.. ما هو بصحيح هذا الكلام، أنت ما تدري إلا عن قضيتك التي أتيت بها، نعم هذا الشاب مطالب بعذر الشيخ أن يعذر الشيخ لأن الشيخ ترد عليه.. وحضرنا مع المشايخ الكبار في مجالسهم وترد عليهم أمور متناقضة هذا يأتي بخبر وهذا يأتي بنقضه وإلى آخره، ولا يعني هذا أن طلاب العلم لا ينقلون الأخبار إلى المشايخ، طلاب العلم ليست لهم وسيلة للتغيير إلا عن طريق علمائهم؛ لأن أكثر الأمور لا يطاق تغييرها ولا يستطيع إلا عن طريق أهل العلم فلا بد أن يستمر مثل هذا العمل، لكن على كل شخص بحسب موقعه أن يصبر ويحتسب لله -جل وعلا- ما يقول والله أنا رحت أبلغ الشيخ الفلاني وأنا الآن يأس ما استقبلني استقبالي طيب، أنت ما عليك أنت بلغ ما عندك والنتائج بيد الله -جل وعلا- والشيخ أيضاً عليه أن يتثبت وعليه أن يسعى لإنكار المنكر وتغييره فكل عليه مسؤولية والأمة كلها مطالبة بتغيير المنكر، فعلياً أن يحتتمل ما يأتينا من المشايخ لأنهم بشر من كثرة ما يرد عليهم من الشباب وغير الشباب حتى ما ينشر من الصحف وغيرها أحياناً ينشر لجس النبض فقط، ما يكون له حقيقة أو للإثارة على يد بعض السفهاء، فعلياً أن نحتمل وعلى الشيخ أيضاً أن يستقبل هؤلاء الشباب الذين ما جاء بهم إلا الغيرة على محارم الله تعالى، فمثل ما ذكرنا سابقاً وكررناه مراراً أن كل إنسان عليه من الخطاب الشرعي ما يخطئه، فالشيخ عليه أن يستقبل طالب العلم ببش في وجهه ويعرف أنه ما جاء به إلا الغيرة لله -جل وعلا- وعلى طالب العلم أن يتحمل كما قالوا في آداب الطالب والعالم والمتعلم فعلى الطالب أن يصبر على جفاء الشيخ إذا لم يصبر على جفاء الشيخ معناه أنه ينصرف بترك التعلم وعلى العالم أن يحتوي الطالب ويعامله معاملة تليق به وتجعله يرغب في التحصيل ولو حصلت النفرة وكل واحد ركب رأسه ما حصلنا لا إنكار ولا تعلم ولا تعليم والله المستعان.

" **لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ** " الذي تخبرون به على خلاف الواقع فيرتب على ذلك مقتضاه " جاء شاب وقال فيه منكر في البلد الفلاني هذا العالم الوسيط بمجرد سماع كلام هذا الشاب رفع السماع على أمير البلد أو المنطقة وقال عندك كذا وكذا قال أبداً ما عندنا شيء هاتوا برهانكم، لو أطاع مثل هذا لا بد أن يحصل العنت نذكر مثل هذا الكلام ونحن بين يدي خيار يحصل لهم

مثل هذه الأمور وليس معنى هذا أننا نشبطهم ونخذلهم لا لاتقوم الأمور إلا بهذا، بتعاون الكبار والصغار والجميع بتضافر الجهود **{لَعَنْتُمْ}** لأثمتم دونه إثم التسبب إلى المرتب" هو بدوره عليه أن يتثبت فإذا جاء الخبر عن شخص أنه قال كذا يعني كم مره يجينا بعض الطلاب ويقولون إن الشيخ الفلاني أفتى بكذا أنكروا عليه، فإذا بحث مع الشيخ إذا المسألة غير الذي تصورها الطالب، يعني ما موقف الشيخ لو اتصل به وقال أنت قلت كذا؟ لكن يمكن الوصول إلى المراد بأسلوب مناسب، يعني أنت سمعت فتوى من عالم أنت لا طاقة لك بهذا العالم لا تستطيع أن تتناقش هذا العالم وتحاجه يعني بجملة يردك فأنت تذهب إلى من يستطيع التأثير عليه هذا الذي يستطيع التأثير عليه لو مجرد ما أخبرته به رفع السماعه وقال أنت قلت كذا وقال أنا ما قلت، يعني بأسلوب مناسب يمكن أن يقول ما رأيكم في كذا في مسألة كذا؟ ويعرف رأيه من خلال السؤال ثم بعد ذلك بالتدرج ينتهي إلى أنه بلغه أنك تقول بكذا، ولا يمنع أنه يثني عليه ف بالمقدمة أو يدعوا له في البداية ثم بعد ذلك يصل إلى قلبه وحينئذ يحصل التغيير أما أن يقول له أنت أخطأت فعلت كذا، هذا ما يجدي ابدأ هذا والتجربة أثبتت فشل هذه الطريقة والله المستعان فإثم التسبب على هذا المبلغ يقول: "لأثمتم دونه" يعني دون من بلغتم لكن هو أيضا عليه أن يتثبت لأنه مأمور بقوله -جل وعلا- : **{فَتَتَّبِعُوا}** فلا يسلم من العنت **{وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ** **الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ}** زينه يعني حسنه يعني رغبتكم فيه رغبتكم في الإيمان **{وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ}** ما دام حبيب إلينا الإيمان فعلينا أن نعمل بجميع ما يتطلبه الإيمان من شرائع الأعمال والأقوال **{وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ }** يعني الإيمان إذا وقر في القلب يفرح به المسلم المؤمن فرح لا يعدله فرح، الإيمان إذا وقر في القلب يفرح به المؤمن فرح لا يعادله شيء، وإذا تذكر هذه النعمة التي هي أعظم النعم أن الله -جل وعلا- هداه للإيمان والإسلام لا شك أنه أعظم عنده من كل نعمة، وكل نعمة يمكن تعويضها إلا الدين **{وَزَيَّنَهُ}** يعني حسنه **{ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ }**، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد.

قال -رحمه الله- في قول الله -جل وعلا- : **"{وَكُرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ}** استدراك من حيث المعنى دون اللفظ لأن من حُبب إليه الإيمان إلى آخره غايرت صفته صفة من تقدم ذكره" ولكن هذا استدراك استدراك من أي شيء؟ من معنى ما تقدم، "يقول: استدراك من حيث المعنى دون اللفظ لأن من حُبب إليه الإيمان وزين في قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان غايرت صفته صفة من تقدم" ذكره ممن سبق سواء كان فاسق الذي يأتي بالأخبار الغير صحيحة أو من لا يتثبت في قبول الأخبار فيترتب على ذلك من العنت والإثم ما يترتب عليه يقول: هذا "استدراك من حيث المعنى دون اللفظ لأن من حُبب إليه الإيمان إلى آخره غايرت صفته صفة من تقدم ذكره" **{أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ}** أولئك هم وهناك يقول: **{وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ}**

خطاب ثم قال: **"أَوْلَيْكَ هُمْ"** هذا **"فيه التفات من الخطاب"** إلى الغيبة، وأسلوب الالتفات معروف في لغة العرب وفي النصوص التفات من الخطاب إلى الغيبة، وقد يكون بالعكس التفات من الغيبة إلى الخطاب فحينئذ يكون تجريد، يسمى تجريد كأن الإنسان مجرد من نفسه شخصاً يتحدث عنه، فيه التفات من الخطاب **"الرَّاشِدُونَ"** الثابتون على دينهم" ثبوت الصخرة لأن معنى الرشد من معاني الرشد الصخرة أو الحجر الكبير فهم الثابتون على دينهم **"فَضْلاً مِنَ اللَّهِ"** مصدر منصوب بفعله المقدر أي أفضل الله فضلاً منه مصدر منصوب بفعله المقدر أي أفضل الله فضلاً منه **"وَنِعْمَةً"** يعني منه **"وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِهِمْ حَكِيمٌ"** في إنعامه عليهم" الله -جل وعلا- عليم لا تخفى عليه خافية عليم بما يصلحهم بما يصلح كل فرد منهم فتجده يعطي هذا ما يمنعه الآخر، ويعطي ويمنع هذا ما يعطيه الآخر، ويعطي كل إنسان ما لو استعمله في حياته لانتفع به لأنه عليم بما يصلح أحوالهم حكيم في إنعامه عليهم فتجده -جل وعلا- يعطي هذا الأموال ويعطي هذا الذرية ويعطي هذا الحفظ ويعطي هذا الفهم ويعطي هذا كذا وكذا يعطي هذا اللون إلى آخره القوة في البدن فالله -جل وعلا- **"عَلِيمٌ حَكِيمٌ"** في إنعامه عليهم فيعطي كل إنسان ما يناسبه من النعم ما لو استغلها واستعملها وشكرها لانتفع بها في الدنيا والآخرة، قد يقول قائل فلان أعمى سلب هذه النعمة وما يدريك أنه لو كان مبصراً لاستعمل هذه النعمة فيما يضره، فلان عقيم طيب وما يدريك أنه لو ولد له ولد لفتن به وضره في دنياه وفي آخرته الخيرة فيما يختاره الله -جل وعلا- لأنه **"عَلِيمٌ حَكِيمٌ"** ثم قال: **"وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"** يقول: "الآية نزلت في قضية وهي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ركب حماراً ومر على ابن أبي فبال الحمار فسد ابن أبي أنفه" ابن أبي رأس المنافقين النبي -عليه الصلاة والسلام- غشاهم في مجلسهم على حمار وهذا من تواضعه -عليه الصلاة والسلام- "فبال الحمار فسد ابن أبي أنفه فقال ابن رواحه: والله لبول حماره أطيب ريح من مسكك. فكان بين قوميها ضرب بالأيدي والنعال والسعف" النبي -عليه الصلاة والسلام- ما ذكر أنه أنكر على ابن رواحه مقالته هذه، فمقالته هذه أطيب ريحاً من مسكك بول حمار النبي -عليه الصلاة والسلام- أطيب ريحاً من مسك ابن أبي لأن هذا سيد الخلق وهذا رأس المنافقين، فكل ما يتعلق بهذا خير وما يتعلق بهذا شر؛ لأنه ليس النظر إلى الأعيان بذواتها وإنما ينظر إلى متعلقاتها فهذا أفضل الخلق وأشرف الخلق فكأنه لما غطى أنفه أو سد أنفه كأنه يعتب على النبي -عليه الصلاة والسلام- لركوبه الحمار أو لمجيئه على الحمار أو ما أشبه ذلك، هكذا فهم ابن رواحه وإلا لو كانت المسألة مجردة لو أن الحمار جاء بنفسه أو حمار أي شخص من الأشخاص فبال بين الناس ثم سد أحدهم أنفه ما يلام على ذلك، لكن الحمار اكتسب هذا الشرف لأنه مطية النبي -عليه الصلاة والسلام- ولذلك دافع عنه ابن رواحه والدفاع عنه دفاع عن النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي ركبه أطيب ريحاً من مسكك يعني تجد رجل صالح من الصالحين الزهاد وتشم منه الرائحة وإن



كان هذا غير مطلوب من المسلم أن يصل إلى حد بحيث يقذره الناس لكنه منشغل بعبادته عن نظافته أو نظافة بدنه، تشم ممه ريحاً قد تؤذيك وبينما رجل من الفجار يستعمل من الأطياب أغلاها وأذكاها تشم منه ما يسرك لكن أين هذا من هذا عند الله -جل وعلا- لما سأل النبي - عليه الصلاة والسلام- عن الرجلين فقيل عن أحدهما إنه فقير مدفوع بالأبواب لو خطب ما زوج ولو استأذن ما أذن له، والآخر بضده قال إن هذا خير من ملئ الأرض من مثل هذا، فالمقاييس والموازن يجب أن تكون شرعية يعني مردنا إلى الشرع، "فقال ابن رواحه: والله لبول حمارة أطيب ريحاً من مسكك فكان بين قوميها ضرب بالأيدي النعال والسعف" نزل قوله: **لَوْ أَنَّ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** والطائفة تطلق على الجماعة كما تطلق على الواحد والواحد فما فوقه طائفة **{اقتتلوا}** طائفتان اقتتلوا إعادة الضمير على التثنية على المثني بضمير الجمع يقول: جُمع نظراً إلى المعنى لأن كل طائفة جماعة لأن كل طائفة الأصل فيها أن تكون جماعة، فنظر إلى المجموع، لو عندنا مسابقة مثلاً فريق وفريق عشرة وعشرة بالنظر إلى كونهما طائفتين يمكن أن نعيد الضمير على اللفظ فننتهي فنقول تباريا أو تسابقا أو تنافسا وإذا نظرنا إلى المجموع عشرين نقول تباروا تسابقوا فإذا نظرنا إلى اللفظ أعدنا لفظ الضمير مثني وإذا نظرنا إلى المعنى أعدناه للجمع؛ ولذا يقول: **"{اقتتلوا}** جُمع المعنى لأن كل طائفة جماعة وقرء اقتتلنا لكنها قراءة شاذة **{فأصلحوا بينهما}** أولاً سماهما الله -جل وعلا- من المؤمنين ولم يخرجهما عن دائرة الإيمان ولا عن حيزه مع وجود القتال الذي هو من أعظم الذنوب والجرائم من بعد الشرك: **{الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ}** [سورة الفرقان: 68] من عظام الأمور القتل ومع ذلك ما أخرجهم من دائرة الإيمان فعلى الإنسان أن يحتاط لمثل هذا بعض الناس تأخذه الغيرة أو حمية لأمر من الأمور فيقع في أمر عظيم وهو تكفير من لا يجوز تكفيره فهم لم يخرجوا عن دائرة الإيمان، **"{فأصلحوا بينهما}** ثني نظراً إلى اللفظ" وهذا مثل ما قلنا في الفريقين المتسابقين ثني نظراً إلى اللفظ **{فإن بعت}** يعني **{إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء}** ترجع إلى أمر الله الذي هو الحق" يعني وجد قتال بين طائفتين مسلمتين لا بد من الإصلاح بينهما لا بد من السعي إلى الإصلاح قبل كل شيء لأنه إذا تم الأمر دون إرقة دم فهذا هو الأصل، حقناً لدماء المسلمين لا بد من أن يكون الصلح، **{اقتتلوا فأصلحوا بينهما}** صلح طيب ما امتثلوا واحدة قبلت الصلح والثانية ما قبلت **{فإن بعت}** يعني **{إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء}** يعني ترجع إلى أمر الله الذي هو الحق **{فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل}** يعني بالإنصاف **{فإن فاءت}** يعني رجعت وأذعنت إلى قبول الحق **{فأصلحوا بينهما بالعدل}** يعني بالإنصاف" لأن الصلح يحتاج إليه قبل وبعد، قبل لحسم الموضوع من أصله وبعد ذلك لحسم تبعاته المترتبة عليه، **{وأقسطوا}** والقسط هو العدل وعندنا الفعل الثلاثي والرباعي قسط وأقسط اسم الفاعل من الفعلين من الثلاثي قاسط ومن

الرباعي مقسط، والقاسطون نعم ممدوحون وإلا مذمومون؟ نعم وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا ، والمقسطون على منابر من نور الذين هم العادلون والقاسطون الجائرون ففرق بين الفعل الثلاثي الذي أقسط يعني عدل وقسط يعني جار ومال وهنا: **"وَأَقْسَطُوا"** رباعي **"اعدلوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"** العادلين وجاء فيهم: **"المقسطون على منابر من نور الذين يعدلون بين أهلهم وما ولو"**، ثم بعد هذا قال: **"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ"** وهي أخوة الدين أخوة يعني في الدين والأخوة في الدين أعظم من أخوة النسب، لأنه لا صلة بين المسلم والكافر فلا توارث بينهما انقطعت الصلة بينهما لأن الكافر عدو والأخوة الحقيقية هي أخوة الدين ولذا جاء الأسلوب الحصري: **"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ"** يعني في الدين: **"فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ"** إذا تنازعا وقرئ: إخوتكم بالفوقانية وهي قراءة شاذة، يعني لما يذكر المتنازعين بما يقتضي الألفة المودة والمحبة وهي الأخوة لا بد من استحضار الأخوة في كل موقف يؤول إلى النزاع، لماذا؟ لأن هذا يحول بين الإنسان وما أراده من أذى لأخيه المسلم **"وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"** **"وَاتَّقُوا اللَّهَ"** التقوى هي أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل الأمور وترك المحظورات **"لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"** المتقي لاشك أنه مستحق للرحمة ولذا يقول ابن عباس وغيره لعل من الله واجبة يعني أوجب على نفسه كما أنه حرم على نفسه الظلم أوجب على نفسه رحمة من يتقيه **"لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"** **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا"** يقول: "الآية نزلت في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب والسخرية الازدراء والاحتقار" **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا"** يعني لا يسخر لا يستهزي ولا يحتقر ولا يزدري أخاه المسلم ولو كان على قدر من الفقر والعوز والحاجة فلا يزدريه وعليه حينئذ أن ينظر إلى مثله بعين الرحمة فإذا نظر إلى من دونه في هذا الباب لا ليزدريه ويحتقره وإنما ليعود على نفسه بشكر النعم التي خص بها دون أخيه، **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا"** يقول: "الآية نزلت في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب والسخرية الازدراء والاحتقار **"قَوْمٌ"** أي رجالٌ منكم" القوم جمع قائم كصحب جمع صاحب وصوم جمع صائم وهو خاص بالرجال فلا يدخل فيه النساء ولا يدخل فيه الأطفال أيضًا لأنهم ليسوا أهلاً للقيام على أنفسهم فضلاً عن أن يقوموا على غيرهم ولذا عطف عليه النساء **"قَوْمٌ"** أي رجالٌ منكم **"مِنْ قَوْمٍ"** رجال منهم **"عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ"** عند الله -جل وعلا- أنت وما يدريك أن هذا الشخص الذي تزدريه قد وقر في قلبه من الإيمان ما يجعله يعدل منك ملئ الأرض **"عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ"** عند الله -جل وعلا- **"وَلَا نِسَاءً"** منكم من أهل العلم من يرى دخول النساء في القوم والرسول كلهم قاطبة أرسلوا إلى أقوامهم ويدخل فيهم الرجال والنساء وعطف النساء على القوم على هذا القول إنما هو من باب عطف الخاص على العام للاهتمام بشأن الخاص والعناية به، مما يدل على أن النساء أكثر سخرية من الرجال **"وَلَا نِسَاءً"** منكم **"مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ"** يعني لا تعيبوا فتعابوا" لأن من وقع

في شيء يعني ما عيب أحدًا بشيء لابد أن يقع فيه ولا تعيبوا **{وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ}** لا تعيبوا فتعابوا" يعني تكونوا سببًا لعيب أنفسكم وهذا من باب إطلاق الشيء أو السبب على الشيء نفسه الإنسان الذي يعيب غيره ثم يعاب هو المتسبب لعيب نفسه كما أن الذي يسبب أبا الرجل فيسب أباه كأنه سب أباه كما جاء في الخبر، ومن قتل غيره مما يكون سببًا في قتله هو كأنه قتل نفسه **{وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ}** وكأنه جعل المسلم هو المسلم نفسه يعني ما يقع على أخيك كأنه واقع عليك، وهذه مبالغة في تأثير هذه الأخوة **{وَلَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ}** فإما أن يقال أن ما يقع على الأخ كأنه واقع على النفس، أو يقال أنك ما دام.. ما دمت صرت سببًا لما يقع عليك من السب والشتم لأنك تسببت في شتم غيرك بأشرت شتم غيرك فصرت سببًا في شتمك فكأنك لمزت نفسك أو كما جاء في الخبر عن بعض الصحابة وهو أبو ذر قال: من سب الناس سبوا أباه وأمه. الانتصار للنفس جبلي لكن على الإنسان أن يخطمه بخطام الشرع **"{وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ}** أي لا تعيبوا فتعابوا **"{وَلَا تَنَابَرُوا بِالْألقَابِ}** أي لا يدعو بعضكم بعضًا بلقب يكرهه" ما تقول يا طويل يا قصير يا أعور يا أعمى يا أسود إلى آخره، بلقب يكرهه لكن إذا كان لا يكره هذا اللقب ولو كان في الأصل عيب فإن الأمر فيه سعة، أو كان هذا اللقب لا يعرف إلا به ففي الرواة الأعمى وفيهم الأعرج وفيهم الأعمش، والألقاب ألفت فيها المؤلفات نزهة الألباب في الألقاب يعني ألقاب المحدثين مطبوع في مجلدين، فالألقاب موجودة قبل الإسلام وفي الإسلام وبعد إلى عصرنا هذا فهناك ألقاب تدل على المدح وهذه لا إشكال فيها، وألقاب تدل على الذم وهذه لا إشكال في منعها، وهناك ألقاب لا يعرف الإنسان إلا بها، الأعمش حدثنا الأعمس في كتب السنة كلها سليمان بن مهران هل يَأْتُم من يقول الأعمش؟ ما يَأْتُم لأنه عرف بهذا لكن إذا كان يتضايق من هذا ولا يرغبه وعرف بغيره **{وَلَا تَنَابَرُوا بِالْألقَابِ}** **"ومنه يا فاسق يا كافر"** لا شك أن هذه الألقاب شنيعة أن يقال أن يدعى المسلم بالفاسق ولو ظهرت عليه آثار الفسق، ما دام في حيز ودائرة الإسلام يقال له يا مسلم يا فلان ومع ذلك تسدى إليه النصيحة وتهدى إليه وتبذل النصيحة معه ولا يألوا المسلم جهدًا في نصحه حتى يترك ما يزاوله من فسقات و**"يا كافر"** يقول هذا باعتبار ما كان وقيل لصفية يا يهودية بنت يهودي فجاء في الخبر أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال لها: **{لَوْ قَلْتِ أَنَا بِنْتُ هَارُونَ وَعَمِي مُوسَىٰ وَزَوْجِي مُحَمَّدٌ}** ما أعظم من هذا الشرف؟ والله المستعان، **{بِئْسَ الاسمُ}** أي المذكور من السخرية والهمز والتناوب بالألقاب" سخرية واستهزاء وهمز ولمز مما جاء المنع بل الوعيد عليه **{وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ}** [سورة الهمزة: 1] ويل وادي في جهنم ما يصبر عليه؟ لو سيرت عليه جبال الدنيا لذابت -نسأل الله السلامة والعافية - والتناوب **{بِئْسَ الاسمُ الفسوقُ بَعْدُ الإِيمَانِ}** يعني بدل من الاسم الفسوق بدل من الاسم لافادة أنه فسق لتكرره عادة **{وَمَنْ لَمْ**

**يُنْبُ** { من ذلك " يعني ما جاء من هذه المنهيات **{فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}** ظلموا أنفسهم بإِقحامها في ما يغضب الله -جل وعلا- وظلموا غيرهم بوصفهم بما لا يستحقونه من وصف، والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.